مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

التّحولات الصّرفيّة لأبنية اسم الفاعل في آيات الوعد والوعيد
دراسة في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

م.د إسراء زيدان خلف
دكتوراه في النّحو والصّرف
وزارة التربية /المديرية العامة لإعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي
E/israa.zedan.khalaf@ec.edu.iq

الملخص

اللّغة العربيّة غنيّة بمفرداتها وقواعدها النّحويّة والصّرفيّة، وقد ارتبطت الدّراسات النّحويّة والصّرفيّة بالقرآن الكريم، فبدأت بالنّضوج في القرن الرّابع الهجري، وتُعَدّ صيغة اسم الفاعل من إحدى المشتقّات الصّرفيّة المستعملة في القرآن الكريم، فإمّا أن ترد بأبنيتها المشتقّة من الفعل الثّلاثي أو المزيد، أو تنوب عنها إحدى المشتقّات، النّيابة أو التّحول أحد أبرز المؤثّرات في دراسة اسم الفاعل، من هنا يحاول هذا البحث تفسير الظّواهر الصّرفيّة في آيات الوعد والوعيد، وتسليط الضّوء عليها في ضوء نظرية الاستلزام الحواريّ، وأثرها في فهم الخطاب القرآني في الآيات، من طريق الإشارة إلى السّياقات المتعدّدة التي يمكن أن يفهم من خلالها الخطاب القرآنيّ، وكيف يعمل السّياق الجزئيّ عند مراعاته الظّروف المحيطة بالحدث الكلامي على إضفاء مفاهيم خاصّة تؤثّر في السّياق العام الذي يفهم من خلاله الخطاب القرآني، وسيتبع البحث منهجا وصفيًّا تحليليًّا، يقوم على بيان المفاهيم المتعلقة باسم الفاعل، وظاهرة التّناوب، عبر زاوية الاستلزام ومحاولة الاستفادة منها في فهم مقصديّة الخطاب القرآني. مستعيناً بالرؤى الحداثية التي تعاملت مع التحولات الصرفية في اسم الفاعل، ومدى الإشارات التي اشتملت عليها لتفسير النص القرآني الخاص بآيات الوعيد والوعد، ليصل البحث إلى بعض الاستنتاجات أبرزها أن اسم الفاعل المتجدّد في القرآن يستعمل لبيان وإثبات الاستمرارية، سواء في العقوبة أو المغفرة، فنظرية الاستلزام الحواريّ تفسّر كيفيّة توظيف القرآن لهذه الظّواهر اللّغويّة للكشف عن معانٍ ضمنيّة، من طريق انتهاك مبدأ الكمّ أو تعزيز مبدأ العلاقة بين الألفاظ والمعانيّ.

الكلمات المفتاحيّة: (التّحول الصّرفي، اسم الفاعل، الاستلزام الحواري).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

The Morphological Transformations of the Active Participle Forms in the Verses of Promise and Threat /A Study in the Light of Conversational Implicature Theory

By:Asst. Lecturer Israa Zaidan Khalaf
PhD in Syntax and Morphology
Ministry of Education / General Directorate for Teacher Preparation, Training, and Educational Development
E/israa.zedan.khalaf@ec.edu.iq

Abstract

The active participle is one of the most commonly used morphological forms in the Holy Quran. The Arabic language is rich in its vocabulary and grammatical and morphological rules, which began to mature in the fourth century AH, during which grammatical and morphological studies were linked to the Holy Quran. Substitution or transformation is one of the most prominent influences on the study of the active participle. Hence, this research attempts to explain morphological phenomena in the verses of promise and threat .This research aims to shed light on the theory of implication, dialogue and context and their impact on understanding the Qur'anic discourse in the verses, by pointing out the multiple contexts through which the Qur'anic discourse can be understood, and how the partial context emanating from visions and intellectual backgrounds works to add special concepts that affect the general context through which the Qur'anic discourse is understood. The research will follow a descriptive and analytical approach through talking On the concepts related to the active participle and the phenomenon of alternation, through the perspective of implication and an attempt to benefit from them in understanding the purpose of the Qur'anic discourse. Drawing on modernist visions that dealt with morphological transformations in the active participle and the extent of the indications they included to interpret the Qur'anic text regarding the verses of threat and promise, the research arrives at some conclusions, the most prominent of which is that the renewed active participle in the Qur'an is used to highlight continuity, whether in punishment or forgiveness and The theory of conversational implication explains how the Qur'an employs these linguistic phenomena to reveal implicit meanings, by violating the principle of quantity or reinforcing the principle of the relationship between words and meanings

Keywords:(Morphologicaltransformation ،Active participle، Conversational implicature) .

المقدمة

يشكّل علم الصّرف أو علم التّصريف مستوى من مستويات اللّغة ويُعرَّف بأنّه "علم يتعلّق ببنية الكلمة؛ لأنّه يدرس الأبنية اللّغويّة من طريق الوحدات الصّرفية ووظائفها، وقوانين تشكيلها" (النجار ،٢٠٠٦، ٢٧)، فالصَّرفُ في اللغة هو التغييرُ والتقليبُ من حالٍ إلى حال، وردُّ الشّيء عن وجهِهِ، وصرفُ الكلمة: إجراؤها بالتنوين، وقيل: تزيينُها بالزِّيادة، والتّصريف: اشتقاقُ الكلامِ بَعضهِ من بعضٍ (ابن منظور ،١٩٩٨، ٢٣٢/٥)، فهو يُعنى علم الصرف بدراسة التغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة، سواء أكانت تلك التغييرات ناتجة عن السوابق واللواحق أم عن التحولات الداخلية، إذ تؤدي جميعها إلى إحداث تبدّل في المعنى الأصلي للمفردة. وتُعَدّ الوحدة الصرفية أصغر جزء يحمل معنى في الكلمة، ويطلق عليها اسم المورفيم، وقد تكون حرة مستقلة أو مقيدة مرتبطة بغيرها. ومن ثمّ، فإنّ التغيّر الصرفي لا يتناول إلا الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة ذات الأصل الراسخ في الاستعمال (قميرة، ٢٠١٩، ص ٦٦). ومن بين الصيغ الصرفية البارزة التي تتسم بقيمة دلالية خاصة صيغة اسم الفاعل، إذ تؤدي وظيفة أساس في الكشف عن مقاصد النص القرآني.

وانطلاقًا من هذه الأهمية، يأتي هذا البحث ليسعى إلى بناء جسر بين الجانب الصرفي والدراسات اللغوية الحديثة، ولا سيما الاتجاهات التواصلية التي تركز على اللغة بوصفها إنجازًا لفظيًا داخل سياق محدد. وقد تبلور هذا الاتجاه في عدد من المناهج أبرزها تحليل الخطاب، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية. ويُعَدّ الاستلزام الحواري أحد المحاور الجوهرية في التداولية، وهو المفهوم الذي صاغه بول غرايس (١٩١٣–١٩٨٨). ورغم شيوع هذه التسمية، فإن الأدبيات المتخصصة أوردت تسميات أخرى مثل: الاستلزام المحادثي، الاستلزام التخاطبي، التضمين الحواري، التلويح أو التعريض... إلخ (البلداوي، ٢٠٢٢، ص ٣٠٠).

لقد انشغل غرايس بظاهرة التباين بين ما يُقال صراحةً وما يُراد ضمنًا؛ فالخطاب قد يحمل معنى ظاهريًا مباشرًا وآخر مضمرًا يستبطن مقصد المتكلم. ولتحقيق الفهم المطلوب ينبغي أن

يشترك الطرفان – المتكلم والمخاطَب – في خلفية معرفية وثقافية تسمح بالتقاط الإيحاءات والمعاني غير المصرّح بها (العازمي ومحمد، ٢٠٢٢، ص ٧).

وقد توزعت فصول هذا البحث بين مقدمة وتمهيد وفصلين رئيسين، أعقبهما قسم للنتائج والمقترحات، رجاءً في أن يسهم في الكشف عن أبعاد جديدة للصلة بين الصرف والدلالة التداولية.

المبحث الاول

الإطار النّظري

أوّلا– تعريف النيابة وأسبابها

التّناوب لغةً: من (النّوب) وهو القيام مقام الآخر، تقول: ناب عن فلان ينوب مناباً ونيابة، أي قام مقامي. وانتاب فلان القوم انتياباً، أتاهم مرة بعد أخرى، وهو افتعال من النّوبة، والنَّوبة: واحدة النّوب، تقول: جاءت نوبتك ونيابتك. (ابن منظور ،١٩٩٨، ٥/ ٢٣٢).

وفي الاصطلاح في أساليب العربِ ترِد صيغٌ يحتمل بها غيرها، وألفاظ تجري على غير وضعت له، وأساليب مجازيّة وكنائيّة، بل إنّ ذلك غالب في كلام العرب ولغتهم، وعليه جرى النّصّ القرآني (عبد الفتاح ،٢٠٢٠، ١٠٧). وأمّا أبرز أسباب النّيابة فهو الرّبط المعنوي بين المشتقّات، وهذا دليل على سعة لغة العرب ؛ إذ ترى في عدّة مواضع أنّ حمل الكلام على ظاهر ما تقتضيه الألفاظ يفسد المعنى أو ينزل به في البيان درجة.

(عبد الفتاح ،٢٠٢٠، ١٢٢)

تأثيرالنيابة في المعنى والسياق

يرتبط اختلاف الصيغ الصرفية ارتباطًا وثيقًا باختلاف المعنى، إذ لايتغيّر المبنى إلا لضرورة دلالية؛ وقد أشار فاضل السامرائي (٢٠٠٧) إلى هذه الحقيقة حين بيّن أن تغير الصيغة لا يحدث إلا ليواكب تغيرًا في الدلالة. وهذا ما ذهب إليه القدامى أيضًا بقولهم إن زيادة المبنى تستلزم زيادة في المعنى. وأوضح ابن جني في الخصائص أن الألفاظ علامات على المعاني، فإذا أُدخل فيها عنصر جديد كان ذلك سببًا في إضافة دلالة جديدة، فلكل بناء

صياغي غرض خاص يؤديه (ابن جني، د.ت، ج٣، ص٢٦٧)، ومن ثمّ، فإن حلول صيغة صرفية محل أخرى لا يعني التطابق التام في الدلالة، بل يُنتج ظلالًا معنوية متمايزة، لأن الأبنية الصرفية بطبيعتها متعددة الدلالات وقابلة للتأويل. ولهذا قد يعبر المبنى الواحد عن أكثر من وظيفة أو معنى، في حين أن السياق وحده هو الذي يحسم الاحتمال ويوجه الدلالة إلى مقصد بعينه (حسان، ١٩٩٤، ص١٦٣-١٦٤).

نظرية الاستلزام الحواري وتعريفها

تقوم هذه النظرية على التمييز بين ما يظهر في الملفوظ من معانٍ مباشرة وما يُستبطن فيه من دلالات غير مصرّح بها. فقد يتعمد المتكلم إيصال معنى مضمر من خلال ما يقوله دون أن يصرح به، وعلى السامع أن يستعين بمقام الكلام وظروفه ليردم الفجوة بين منطوق الخطاب ومقصديته. وهنا تتجلى آلية الاستلزام، حيث يتطلب الأمر تشغيل ملكة التأويل وربط الظاهر بالباطن. ومن هذا المنطلق صاغ بول غرايس مفهوم الاستلزام الحواري الذي يُعَدّ من أبرز المباحث في التداولية الحديثة (باحميد، ٢٠٢٤، ص٦٤٤).

ويعدّ الاستلزام الحواري واحدا من أبرز جوانب الدّرس التّداولي، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدّرس الدّلالي، وعلى الرّغم من ذلك فليس له – خلافاً للكثير من موضوعات البحث التداولي– تاريخ ممتد (رحيمي ،٢٠٢١، ٨٨). إنّ من أهمّ الجوانب في التّداولية الاستلزام التّخاطبي، فلقد أبعد عنها الالتباسات وألصق بها البحث فيه، فالاستلزام الحواريّ حلقة وصل بين المعنى الصّريح والمعنى المتضمّن في شكل الجملة، ويعدّ من أهمّ جوانب البحث التّداولي الذي يقوم على السّياق في معرفة المعنى" (عكاشة ،٢٠١٣، ٨٧).

ومن خلال هذا القول نرى أنّ ظاهرة الاستلزام الحواري على السّياق في معرفة معنى الجملة أو الخطاب، ويكون همزة وصل بين المعنى الحرفيّ الصّريح والمعنى المتضمّن في الجملة.

مبادئ الاستلزام الحواري:

١. مبدأ الكمّ وقاعدة الكيف: ويعدّ من أهم عناصر (الاستلزام الحواري) الذي يعتمده المتخاطبون في خطاباتهم، ويرتكز على أن يكون كلامك بالقدر المطلوب لا يزيد ولا ينقص، فإن حدثت زيادةٌ أو نقصانٌ فعُدّ هذا خرقاً لمبدأ الكم، ولا بد من الخرق ليتحقق الاستلزام الحواري عند بعض التّداوليين (باحميد ،٢٠٢٤، ٦٤٤).

ويقوم هذا المبدأ على التّوافق بين كمّ المعلومات التي يرسلها المرسل أو المتكلّم إلى المستمع، وكم المفردات المستعملة في نقل هذه المعلومات. وهو ما يطلق عليه في البلاغة العربيّة (بالمساواة) فهو تساوي اللفظ والمعنى، أي وسط بين الإيجاز والإطناب. أما قاعدة الكيف، فيفرض هذا المبدأ على المتكلّم أن يكون صادقاً في خطابه، ومتأكداً من إثباته ودليله، ونصه: "لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه" (عكاشة ،٢٠١٣، ٨٧) ، ويتفرع إلى قاعدتين هما:

- لا تقل ما تعتقد أنّه خاطئ.
- لا تقل ما لا تستطيع إثباته والبرهان عليه بدليل.

٢. مبدأ المناسبة (الملاءمة) ومبدأ الطريقة: يعدّ مفهوم المناسبة أحد قواعد الحوار التي تضمنها مبدأ التّعاون الحواري، وهذا المبدأ قائم على قاعدة واحدة تنصّ على أن تجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع" أي: "ليناسبْ مقالك مَقَامكَ" بمعنى أن يكون كلامك منسجماً ومتّفقاً مع الموضوع (رحيمي ،٢٠٢١، ٩٠). أما خرق مبدأ الطريقة وهو أن يكون كلام المرسل واضحاً غير مبهم، وينصّ على الوضوح في الكلام ويتفرّع إلى:

- تجنّب اللّبس.
- أوجز في كلامك.
- رتّب كلامك. (رحيمي ،٢٠٢١، ٩٠).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

المبحث الثاني

دلالة اسم الفاعل في آيات الوعد والوعيد في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

أولا: توظيف اسم الفاعل في آيات الوعد:

يوظّف اسم الفاعل بدلالاته المختلفة في آيات الوعد؛ ويأتي من الفعل الثلاثي، ومن الفعل غير الثلاثي.

أ. من الفعل الثلاثي: ويدلّ على الثبوت مثل قوله تعالى:﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾(غافر:٣)، ويُعدُّ استخدام اسم الفاعل في هذه الآية الكريمة نموذجًا بلاغيًا دقيقًا يُحمّل الصّيغة الصّرفيّة أبعادًا دلاليّة ووظيفيّة، تتجاوز كونها صفة فاعل لتكون أداة ترغيب وتثبيت نفسي، وهذا ما يُفهم في ضوء نظرية الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)، فهي اسم فاعل على وزن "فاعل" من الفعل الثّلاثي غَفَرَ، وتدلّ الصّيغة على من قام بالفعل على وجه التّجدّد والدّوام متى اقترنت بمفعول به، كما في قوله: غافر الذنب، ويؤكّد ذلك تمّام حسّان بقوله: "إنّ بناء فاعل يدل على الحدث وصاحبه في وقت واحد، ويُراد به أحيانًا الدّلالة على التّجدّد كلّما تجدّد الفعل، خاصّة إذا قُرن بمفعوله (حسان ،١٩٩٤، ٢٣٩).أمّا قوله تعالى(قابل التوب) فهو اسم فاعل من الفعل(قَبِلَ)، على وزن "فاعل" أيضًا، ويقترن بـ"التّوب" (اسم مصدر)، مما يدلّ على الاستعداد الدّائم والمتجدّد للقبول، وفي هذا الصّدد يقول السامرائي أنّ: ((صيغة فاعل لا تفيد فقط المرّة، بل تفيد الدّيمومة إن وردت مضافة إلى مفعول أو اسم مصدر يدلّ على التّكرار)) (السامرائي ،٢٠٠٧، ١١٧) ، وعلى وفق نظريّة غرايس، فإنّ اختيار المتكلّم (في السّياق القرآني) لصيغة اسم الفاعل بدلاً من الفعل الماضي أو المضارع يُعدّ خرقًا متعمّدًا لمبدأ الكم (Quantity Maxim)، وهو ما يولّد استلزامًا حواريًّا ترغيبيًّا.يقول غرايس: ((عندما يبدو أن المتحدث ينتهك قاعدة من قواعد التخاطب، يحق للمستمع أن يستنتج استلزامًا حواريًا)) (غرايس ،١٩٧٥، ٤٥)، والمقصود هنا أنّ المتحدّث يتعمّد عدم الالتزام بقاعدة من قواعد التّعاون في الحديث (مثل قاعدة الكمية أو الكيفية)، مما

يتيح للمستمع أن يستنتج معنى إضافيًا غير مصرح به مباشرة، وهو ما يسمى الاستلزام الحواري.

وهذا ما ينطبق هنا على قوله عزّ وجلّ: "غافر الذّنب"؛ إذ لا يعني مجرد غفران حدث في الماضي، بل هو غافر على الدّوام، وكذلك"قابل التّوب": لا يقتصر على توبة واحدة، بل يفتح الباب دومًا أمام التّائبين، ويذكر ابن عاشور في تفسيره قائلا: "اختير اسم الفاعل ليدلّ على أنّ المغفرة وقبول التّوبة صفتان ملازمتان له تعالى، لا ترتبطان بموقف معيّن، بل هما وصف دائم." (ابن عاشور ،١٩٨٤، ٩/٢٤)، ومن هنا تظهر دلالة التّراكيب الصّرفيّة في السّياق؛ إذ إنّ التّعبير بـ"غافر" و"قابل" بدلاً من "يغفر" و"يقبل" يُحدث نقلة بلاغيّة من الوصف المؤقّت إلى الوعد الثّابت، ويؤكّد الزركشي على هذا النّوع من الإعجاز بقوله: ((ومن بلاغة القرآن أنّه يأتي باسم الفاعل بدل الفعل حين يريد ترسيخ الصّفة في ذات الله أو تعميقها في وجدان السّامع." (الزركشي ،١٩٩٢، ٢/٢٥٦)، فيستلزم ذلك أنّ دلالة البنيّة الصّرفيّة تعبّر عن معنى الثبوت؛ إذ إنّ ((الاستلزام يُستنتج من عموم اللفظ، فالسّياق يستثمر البنيّة الصّرفيّة في بناء المعنى)) (تادييه ،١٩٨٧، ١١٩)، فاختيار بناء اسم الفاعل دون الفعل جاء لترسيخ معنى ثبوت المغفرة وتعميقها في النّفس؛ فيشعر السّامع بالرّجاء في محو الذّنوب وقبول التّوبة.

ثانياً: من الفعل فوق الثلاثي: وقد وردت في إفادة معنى المشاركة على وزن (متفاعل):

في قوله تعالى ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(المطففين:٢٦)، وأفادت لفظة (المتنافسون) التّشاركيّة في الوعد الختام، وهو وعد الله لكل المتنافسين، فهي صيغة اسم فاعل مزيد بالتّاء على وزن(متفاعلون) من الفعل(نافس)وهو من باب المشاركة الثنائيّة، فهي تدل على المشاركة الجماعيّة في فعل التّنافس ،أي: التّباري والتّسابق وتفيد التّجدّد والاستمراريّة في السّعي نحو الخير، فصيغة (متفاعلون) تعني أنّ هناك تبادلا حيويّا بين أطراف متعدّدة ،وليس فعلا انفراديّا، وعند تحليل هذه اللّفظة في ضوء الاستلزام الحواري، نلاحظ ما يلي:

١. مبدأ الكم: جاءت الآية بلفظ مختصر لم تفصّل فيه الجنّة أو النّعيم، بل قالت: (وفي ذلك) فقط، وتركت للمتلقّي استنتاج ما سبق من نعيم. فالاستلزام هنا ورد في خرق مبدأ الكم

لصالح التّشويق والإثارة الذّهنيّة؛ إذ يفهم ضمنا أنّ ما يدعو للتّنافس أمر عظيم يستحق السّباق إليه دون أن يحتاج تفصيلا.

٢. مبدأ الطّريقة: {فليتنافس المتنافسون} أمر مباشر وواضح بلا غموض، فيه دعوة صريحة إلى الإقدام. والاستلزام هنا نلاحظه في تناسب أسلوب الآمر مع مضمون الآية، ممّا يجعلها بلاغيّا فعّالة في تحفيز السّامع نحو التّنافس في الخير.

٣. مبدأ العلاقة: فالسّياق يتحدّث عن نعيم الجنّة، والخطاب القرآني ينتقل من الوصف إلى التّحفيز، والاستلزام هنا في أنّ المعنى غير المصرّح به هو: بما أنّ هذا الجزاء عظيم، فهو موضع التّسابق الحقيقي لا الدّنيا، ويتحقّق بدلالة الاستلزام أنّ صيغة اسم الفاعل الجمعي (المتنافسون) تشعر بأنّ المتلقين جزء من التحدّي، ما يثير فيهم روح التّفاعل والانتماء.

ثانياً: توظيف اسم الفاعل في آيات الوعيد

أ. من الفعل الثلاثي: وقد وردت للدّلالة على الاستمرار والثبوت: في قوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٢)، فلفظة "القاسية" اسم فاعل من الفعل الثّلاثي المجرّد قسا – يقسو، والوزن الصّرفي: فاعل، ولكن هنا جاءت مؤنّثة لتتطابق مع "قلوبهم"، ولفظة "قاسية" تدل على: الصّفة الثّابتة لا الحدث العارض، وكذلك تحمل دلالة الاستمرار والتّجدد: أي أنّ القسوة ليست حالة طارئة، بل وصف ملازم لهم، وكذلك تشير إلى الدّلالة الذاتيّة، فالقلب صار موصوفًا بالقسوة من ذاته، لا بتأثير خارجي مؤقّت.

١. من حيث الاستلزام الحواري ومبدأ الكيف: استخدام "اسم الفاعل" بدلًا من الفعل (قست) يوحي باستمرار الصفة وثباتها، لا أنّها لحظة عابرة، هذا يولّد استلزامًا تداوليًّا أنّ هؤلاء لا يملكون القابليّة للتّأثر بالذّكر أصلًا، فهم في حالة قسوة دائمة، بالتّالي، "الويل" لايأتي إلا لِمن رسخت فيهم هذه الصّفة، لا من عرضت له القسوة عرضًا.

٢. من حيث مبدأ الكم (الاقتصاد في اللغة): لم يُذكر السّياق تفاصيل عن سبب القسوة أو مظهرها، لكن صيغة "اسم الفاعل" تكفي لتحمل هذه المضامين ضمنيًا، مما يحقق الإيجاز مع غزارة المعنى.

٣. من حيث مبدأ العلاقة: السّياق يربط بين "شرح الصدر" و"قسوة القلب"، واستخدام اسم الفاعل "القاسية" يجعل العلاقة بين الذّكر وبين القسوة علاقة سببيّة مستمرّة، أي أنّ القلب الذي لا يتفاعل مع الذكر هو قلب مغلق ومختوم عليه.

وقد وظّفت هذه الدّلالة في السّياق التّداولي لتوليد استلزام تهديدي وتحذيري. ومن ثمّ فإن البنية الصّرفيّة نفسها أصبحت أداة في يد الخطاب القرآني لتفعيل الأثر الحواريّ في المتلقّي، بما ينسجم مع المقاصد البيانيّة والبلاغيّة للآية، ويقول السّامرائي: "البنية (فاعل) تدل على من قام بالفعل أو من استقر فيه، فإذا قيل قاسية، دلّ على أنّ القلب استقرّ في القسوة واستمر فيها" (السامرائي ،٢٠٠٧، ٨٨) ، ويذكر هارون في باب اسم الفاعل: ((الأصل في اسم الفاعل أن يدلّ على الثّبوت ما لم يقيَّد، ويُفهم منه أنّ الصّفة دائمة أو متجدّدة بحسب المقام)) (السامرائي ،٢٠٠٧، ١٩٠) .

وقد ورد في تفسير الآية: ((القاسية قلوبهم: أي التي بلغت مبلغًا من الجفوة والختم حتى لم تؤثّر فيها الموعظة، فناسبها التّهديد بالويل)) (الزمخشري ،٢٠٠٩، ٤ /٤١) ويقول القرطبي: ((الويل هنا وعيد لمن قست قلوبهم فلم تلن لذكر الله، وفيه دلالة على أنّ الذكر يرقّق القلوب، ومن أعرض عنه فقد انحرف طبعه)) (القرطبي ، ١٩٩٩، ١٥/٢٦٤)، ويتحدّث السّيوطي عن اختيار البنية ودلالتها، فيذكر أنّ: ((العدول إلى اسم الفاعل في بعض المواضع يراد به تكثيف المعنى وإيهام الرّسوخ، كما في القاسية قلوبهم)) (السيوطي ١٩٨٨، ١/٢٧٨)، فيتبيّن أنّ الإيجاز مع كثافة الدلالة يولّد استلزامات حواريّة تتجاوز ظاهر النّصّ، كما في الألفاظ ذات الصّيغة الثّابتة مثل اسم الفاعل. (غرايس ،١٩٧٥، ٤٥)، ويتحدث تاديه عن كيفية استثمار البنيّة الصّرفيّة في الخطاب التّداولي؛ إذ تُحمَّل البنية معاني إضافيّة يتلقفها السّامع بحكم السّياق (تاديه ،١٩٨٧، ١١٩)، ممّا يكسب النّص قوّة دلاليّة تزيد من إظهار المعنى وتمكينه في النّفس، وهذا يدفعه للمراجعة الذاتية.

٢. قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(العنكبوت:٣)، ورد في تفسيره أنّه جاء بالصّيغة المنبّئة على الثّبات والمداومة (الرازي ،د.ت، ٢٥ / ٢٧)، إنّ التّعبير

بالصّيغة الفعليّة والصّيغة الاسميّة في الوقت نفسه فيه مخالفة بين الصّيغتين في قوله تعالى (الكاذبين)، وتعني هذه المخالفة أنّ اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، أمّا الفعل الماضي فلا يدلّ عليه؛ لانّ وقت نزول الآية كان حكاية عن قوم حديثو عهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين بالكفر فيعبّر عن حق الأوليّن بلفظ الفعل وفي حق الآخرين بالصّيغة الدّالة على الثّبات وهي الصّيغة الاسميّة (صيغة اسم الفاعل)، فهي تدلّ على الثّبات النّسبي للصّفة، أي أنّ الكذب صار سمة غالبة عليهم، لا فعلا عارضا، بخلاف الفعل(كذبوا) الذي يشير إلى حدث وقع، أثير النيابة في المعنى والسياق.

يرتبط اختلاف الصيغ الصرفية ارتباطًا وثيقًا باختلاف المعنى، إذ لايتغيّر المبنى إلا لضرورة دلالية؛ وقد أشار فاضل السامرائي (٢٠٠٧) إلى هذه الحقيقة حين بيّن أن تغير الصيغة لا يحدث إلا ليواكب تغيرًا في الدلالة. وهذا ما ذهب إليه القدامى أيضًا بقولهم إن زيادة المبنى تستلزم زيادة في المعنى. وأوضح ابن جني في الخصائص أن الألفاظ علامات على المعاني، فإذا أُدخل فيها عنصر جديد كان ذلك سببًا في إضافة دلالة جديدة، فلكل بناء صياغي غرض خاص يؤديه (ابن جني، د.ت، ج٣، ص٢٦٧).

ومن ثمّ، فإن حلول صيغة صرفية محل أخرى لا يعني التطابق التام في الدلالة، بل يُنتج ظلالًا معنوية متمايزة، لأن الأبنية الصرفية بطبيعتها متعددة الدلالات وقابلة للتأويل. ولهذا قد يعبر المبنى الواحد عن أكثر من وظيفة أو معنى، في حين أن السياق وحده هو الذي يحسم الاحتمال ويوجه الدلالة إلى مقصد بعينه (حسان، ١٩٩٤، ص١٦٣-١٦٤).

نظرية الاستلزام الحواري وتعريفها

تقوم هذه النظرية على التمييز بين ما يظهر في الملفوظ من معانٍ مباشرة وما يُستبطن فيه من دلالات غير مصرّح بها. فقد يتعمد المتكلم إيصال معنى مضمر من خلال ما يقوله دون أن يصرح به، وعلى السامع أن يستعين بمقام الكلام وظروفه ليردم الفجوة بين منطوق الخطاب ومقصديته. وهنا تتجلى آلية الاستلزام، حيث يتطلب الأمر تشغيل ملكة التأويل وربط

الظاهر بالباطن. ومن هذا المنطلق صاغ بول غرايس مفهوم الاستلزام الحواري الذي يُعَدّ من أبرز المباحث في التداولية الحديثة (باحميد، ٢٠٢٤، ص٦٤٤).

يشير هذا الاستخدام إلى أن صيغة اسم الفاعل تحمل دلالة الثبوت والاستقرار في الفاعل، بخلاف الفعل الماضي الذي لايفيد ذلك. فقد جاء التعبير بالفعل في الحديث عن جماعة كانوا قريب عهد بالإسلام، إشارة إلى وقوع الحدث منهم في زمن محدد، بينما استُخدمت الصيغة الاسمية في وصف الكافرين المستمرين على موقفهم، للدلالة على ثبات الصفة ورسوخها فيهم. ومن هنا يظهر الفرق؛ إذ إن اسم الفاعل يعكس صفة راسخة تكاد تكون سمة ملازمة، في حين أن صيغة الفعل الماضي (كذبوا) إنما تحكي عن فعل طارئ أو حدث عابر ارتبط بزمن وقوعه فإنّ (الكاذبين) يشير إلى هوية مستمرّة، فالاستلزام هنا الفارق ضمنا على أنّه تمييز في الدّلالة، فقوله تعالى(الذين صدقوا) يفيد حدثا يمكن أن يقع لمرّة واحدة ويكفي، إمّا (الكاذبين)، فالصّيغة الاسميّة تفيد الثّبات والرّسوخ، ويمكن الوصول إلى المعنى الضّمني في أنّ الصّدق قد يكون في موقف واحد يكشف صاحبه، أمّا الكذب فملازم لصاحبه دوماً.

ويمكن الكشف عن البعد التّداولي لهذه الآية بوصفها وعيدًا غير مباشر للمنافقين وأهل الادعاء، وتأتي الآية ضمن سياق يتحدث عن فتنة المؤمنين وتمحيصهم، يقول الله تعالى:﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(العنكبوت: ٢-٣). جاء الفعلان "فليعلمن" مؤكّدين باللّام ونون التّوكيد الثّقيلة، مما يُفيد الجزم والتّوكيد الشديد، وقد اقترن كل منهما بجملة اسمية دالة على وصف ثابت: "الذين صدقوا" و**"الكاذبين"**، وهما اسما فاعل، يفيدان الرسوخ والثبات في الصفة، يشير تمام حسان إلى أنّ "الفعل المضارع إذا دخلت عليه نون التوكيد دلّ على تحقق الوقوع، وهو نوع من التّهديد أو الحتميّة القريبة" (حسان ،١٩٩٤، ١٧٢)، وبذلك يكون التركيب بنيويًا مهيأً لإيصال رسالة تحذيريّة واضحة، دون أن تُصرّح الآية بالعقوبة مباشرة، بل عبر إشارة ضمنية شديدة.

وقد ذكر المفسرون أنّ قوله تعالى" ليعلمنّ" في الآية لا يُراد به تحقّق العلم بعد الجهل، بل الإظهار والإشهار. قال الطّبري: "فليعلمنّ الله الذين صدقوا في إيمانهم، وليعلمنّ الكاذبين فيه عند الابتلاء... والمعنى: ليُظهرن الله ذلك للناس، وإن كان عالمًا به قبل كونه" (الطبري ،١٩٩٢، ٢٣١)، وقال الزمخشري:" أي ليظهرن علمه، لأنّه كان عالمًا بذلك قبل الابتلاء، والمراد: التّمييز بين الصادق والكاذب في الواق" (الزمخشري ،٢٠٠٩، ٢١٠/٣)، أما الرازي فبيّن البعد العقابي في تفسير "العلم"، فقال: "العلم هنا كناية عن المجازاة، أي: ليجازين الله كلًّا بحسب صدقه وكذبه" (الرازي ،د.ت، ٢٥ /١٢٠) ، وهذا كله يؤيّد أنّ الفعل "يعلم" استخدم لغرض غير مباشر، هو التّهديد والوعيد، لا مجرد الإخبار. وفي هذه الآية، يخرق ظاهرًا مبدأ الكيف (quality)، إذ يوحي النّص أنّ الله سيعلم بعد الفعل، رغم أنّ المتلقّي المسلم يدرك أنّ الله عليم أزلي، وهذا الخرق الظّاهري يدفع المخاطب إلى استنتاج أنّ المقصود ليس حصول العلم، بل وقوع الكشف والجزاء. وهو استلزام تداولي ذو طبيعة تهديديّة، فالسّامع إذًا مدعوّ لاستنتاج أنّ من يُظهر خلاف ما يبطن لن يظل مستورًا، بل سيُكشف حاله، وسيقع عليه الحساب، وهذا هو لبّ الوعيد.

يشير محمد حماسة إلى أنّ اسم الفاعل لا يدل في النّصوص القرآنيّة على مجرد الحدث، بل على الحكم على الذّات بصفة راسخة (المخزومي ،١٩٨٦، ١١٧)؛ لذلك فإنّ وصف "الكاذبين" لايعني مجرّد وقوع الكذب، بل يعني أنّ الكذب أصبح سمةً غالبة، تستوجب الوعيد والجزاء. وبذلك، يتعمّق معنى الوعيد في الآية؛ لأنّ الله لا يعاقب على خطأ عابر، بل على طبع مستقر. وفي ضوء مبدأ الأسلوب، فأنّ الآية تخرج عن الأسلوب المباشر، فتتجاوز الإخبار إلى التّقريع والتّحذير والوعيد، فيكشف عن بُعد دلالي تداولي بالغ التأثير، وذلك من طريق توظيف لغوي دقيق يرتكز على خرق ظاهري لمبدأ الصّدق لإيصال المعنى الضمني. وقد عضّدت النّصوص التّفسيريّة واللّسانيّة هذا التّحليل، مؤكّدة أنّ الكشف النّهائي للصّادقين والكاذبين مقصود به إظهارهم للنّاس ومجازاتهم لا محالة، وهو وعيد مبطّن، لكنّه بالغ الوعيد والتّهديد.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

ثانياً: من فوق الثلاثي: دلالة التكثير (مفعّل)

تأتي بعض الصّيغ الصّرفيّة للدّلالة على التّكثير، ومنها صيغة (مُفعِّل)، ومعنى ذلك أنّها تدل على كثرة حدوث الفعل والفاعلين للفعل (عزيز ،٢٠٠٤، ١١٩)، وهذا مثل قوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين:١) ، وفي ضوء مبدأ الكم، نلاحظ أنّ الآية لم تذكر تفاصيل أفعال المطفّفين أو عقوبتهم مباشرة، بل اكتفت بكلمة(ويل)، وهذا التّبئير في الكلمة يستلزم أنّ الذّنب عظيم والعقوبة جسيمة لدرجة لا تحتاج إلى تفصيل مما يجعل السّامع يستشعر الهول بنفسه.

أمّا مبدأ الأسلوب فإنّ الأسلوب مباشر ومكثّف (ويل للمطفّفين)، وهذا يخلق قوّة إيحائيّة ترهب المخاطب وتستفزّ ضميره، وتدلّ على أنّ الأمر لا يحتمل تبريرا أو تهاونا، فاسم الفاعل(المطفّفين) يحمل دلالة على التّكرار والعادة، وليس فعلا عابرا، فالذّم والعقوبة لا يتوجّهان لمن يخطئ، بل لمن اتخذ التّطفيف عادة. فالآية تختصر وعيدا شديدا بفعل مختزل، لكنّه يفيض ضمنا بعدد من الرّسائل التّأويليّة الأخلاقيّة والاجتماعيّة والإيمانيّة، التي لا يصّرح بها النّصّ لكنّها تستنتج بقوّة السّياق والاقتصار.

دلالة التّرقّب: على وزن (متفعّل)

ومنه قوله تعالى:﴿فَتَرَبَّصُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (التوبة:٥٢)، فاسم الفاعل "المتربصين" مشتق من الفعل "تربّص"، على وزن "تفعل"، وهذه البنية: تدل على طلب الفعل أو التكلّف به، ففضلا عن التّرقّب والانتظار المتأنّي مع توجّس أو نيّة العدوان في السّياق الحواريّ، فدلالته الثّابتة والمستمرّة تتوافق مع استعمال اسم الفاعل. وعن دلالته الصّرفيّة يذكر السّامرائي أنّ: ((اسم الفاعل في وزن (متفعّل) يُستعمل للمواظبة أو التعمّد، ما يجعل المعنى ليس لحظة بل عادة أو حالة مستمرّة)) (السامرائي ،٢٠٠٧، ٨٧) ، وعند التّحليل التّداولي على وفق نظريّة الاستلزام الحواريّ (Grice)، نلاحظ ما يا يأتي:

١. مبدأ الكم (Quantity): لم يُفصَح في النّص عن ما الذي يُتربّص.

- الاستلزام: أنّ كلا الطّرفين يتربّص النّتيجة للآخر، لكنّ السّياق يلمّح أنّ المؤمنين واثقون من نصر الله، والكفّار يترقّبون الأذى.

٢. مبدأ الكيف (Quality): المتكلم (النبي) يُقِرّ بالتربص، لا عن ضعف، بل عن ثقة بالعاقبة الحسنة، فالاستلزام نلمسه في أنّ التّربص عند النبي ليس حيادًا بل يقين بالنّصر، فيردّ على تربّصهم بنظير أقوى.

٣. مبدأ العلاقة (Relation): يُقابل بين الطّرفين دون تفصيل، مما يولّد استلزامًا بتساوي الظّاهر واختلاف الباطن،والكفار يتربّصون شرًا، والنّبي يتربّص نصرًا أو شهادة.

٤. مبدأ الأسلوب (Manner): التّكرار في "تربّصوا" و"المتربّصين" مع توظيف اسم الفاعل يُضفي نغمة التّحدّي والتّعالي عن الجدال، ويذكر الطّبري: ((أي انتظروا ما يكون منّا، فإنّا ننتظر ما يكون منكم. وهذا في ظاهره التّسوية، وفي باطنه التّهديد)) (الطبري ،١٩٩٢، ١٠/١٨٨)، و((فيه تحدٍّ، وركون إلى ما عند الله، وفيه تهديد ضمني، فاللّفظ يفيد مفارقة الموقفين)) (ابن عاشور ،١٩٨٤، ١٠/١٦١)، ويقول الزّمخشري: "إنّي معكم من المتربّصين: ليس كما تتربّصون أنتم، ولكن أثق بموعود ربي، فانتظروا تروا)). (الزمخشري ،٢٠٠٩، ٢/١٨٦)

خلاصة القول: إنّ اختيار اسم الفاعل "المتربّصين" بدلًا من الفعل الماضي أو المضارع يُحدث أثرًا تداوليًا عميقًا، إذ يحمل دلالة الاستمرار واليقين بالمآل، وهو ما يُولّد استلزامًا حواريًا تهديديًا يرُدّ تربص الكافرين بثقةٍ هادئة في موعود الله. فكان التّحوّل الصّرفي في البنية وسيلةً بلاغيّة لتحقيق غرض تداولي دقيق.

المبحث الثالث

نيابة المشتقات عن اسم الفاعل في آيات الوعد والوعيد في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

يكثر ورود أسماء الفاعلين في القرآن الكريم، غير أنّ دلالاتها لا تظلّ حبيسة المعنى الأصلي للفاعل دائمًا، بل قد تنصرف أحيانًا إلى معانٍ أخرى، كأن تدل على اسم المفعول أو الصيغة المشبهة أو حتى على المصدر. وهذا التنوع في الدلالة لا يغيّر من أحكام اسم الفاعل الصرفية والنحوية، فهو يبقى على خصائصه الإعرابية مهما تحوّل معناه. وقد أشار اللغويون

إلى هذا الجانب، وضربوا لذلك أمثلة من كلام العرب، مثل قولهم: سرّ كاتم بمعنى "مكتوم"، ومكان عامر أي "معمور"، وقوله تعالى: ﴿حَرَماً آمِناً﴾ أي "مأموناً". ومن هنا نشأت فكرة النيابة الدلالية، حيث يدلّ اللفظ أحيانًا على غير ما يوحي به ظاهره، كأن يقوم المفرد مقام الجمع، أو يدلّ الفاعل على المفعول، أو يتحوّل المصدر ليُعبِّر عن الفاعل أو المفعول. وقد عدّ القدماء هذه الظاهرة من مظاهر تبادل الصيغ وتحوّلها، ورأوا أن التحول لا يكون عبثًا بل لحكمة بلاغية ودلالية يقتضيها المقام (سطام، ٢٠٢٢، ص ٦٠).

١. نيابة صيغ المبالغة عن اسم الفاعل

من أبرز صور هذا التحول أن تحل صيغ المبالغة محل اسم الفاعل. فالأصل في اسم الفاعل أنّه يدل على معنى مجرد خالٍ من الإشارة إلى قوة أو ضعف، أو إلى قلة أو كثرة، ما لم تصاحبه قرينة أو يتحوّل إلى أوزان أخرى تحمل معنى المبالغة. أما الصيغ المشتقة مثل "فعّال" فهي تدل بوزنها الصريح على شدة الحدث أو تكراره، ولذلك وُصفت بأنها صيغ للمبالغة. فالمتكلم إذا استخدم صيغة "فاعل" إنما يركّز على المعنى الأصلي وصاحبه، بينما من يلجأ إلى صيغة المبالغة يضيف إلى ذلك بيان درجة الحدث قوةً أو ضعفًا.

(عبد الفتاح، ٢٠٢٠، ص ١٦٤)

ومع ذلك، نجد أن اسم الفاعل نفسه قد يُستعمل أحيانًا في موقع صيغة المبالغة، كما في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۞ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٥–٦).

فكلمة الطاغية جاءت على وزن "فاعلة" لكنها أفادت معنى المبالغة، حيث دلّت على الفعل الشنيع الذي تجاوز الحدّ، وهو عقر الناقة. وقد عُبّر بالوصف عن صاحبه لأن فعله صار علَماً عليه. وهذا الاستعمال يشبه ما يقال في العربية: فلان راوية للشعر أو داهية. ومن هنا يتضح أنّ صيغ المبالغة ليست منفصلة عن اسم الفاعل، بل هي تفرّع منه جاءت لتوكيد معناه وإبراز جانب الكثرة أو الشدة فيه (سطام، ٢٠٢٢، ص ٧٣).

١. نيابة صيغة المبالغة (فعّال) عن اسم الفاعل

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(طه: ٨٢)، ففي الوقت الذي يُذكَر فيه العقاب، يُستبطن في ذهن السامع أن لله بابًا للمغفرة، ولكنه مشروط؛ فالكلام يحتوي على معنى مباشر (صريح)، ومعنى ضمني (مستلزَم) يُفهم من السّياق ومبادئ التّخاطب.

يذكر الآلوسي أنّ استخدام أداة التّراخي (ثمّ) في قوله تعالى(ثمّ اهتدى) يشير إلى أنّ الاستمرار على الاستقامة بعد التّوبة والعمل الصّالح هو أمر عظيم ومطلوب (الالوسي ،١٩٩٤، ٥٥١/٨) ،فالمعنى الظاهر للفظة"غفّار" أي: كثير الغفران لمن تتوافر فيه الشّروط المذكورة (التّوبة، الإيمان، العمل الصالح، الاهتداء)، ويشير ابن كثير إلى أنّ المغفرة تشمل كل من تاب إلى الله من أي ذنب كان، حتى أنّه تعالى تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل (ابن كثير ،٢٠١٣، ٣٤١) ومن زاوية الاستلزام الحواري التّقييدي، نجد أنّ "غفّار" رغم أنّها توحي بالرّحمة المطلقة، فإن الله قيّد الغفران بشروط: {لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}، وهذا يستلزم ضمنًا أنّ الغفران ليس تلقائيًا ولا عشوائيًا، بل مشروط ومربوط بالتحوّل الأخلاقي الحقيقي.

والاستلزام الحواري التّحذيري (بالمخالفة): حين يقول الله: "إني لغفّار لمن تاب..."يكون المعنى الضمني: ومن لم يتب، ولم يؤمن، ولم يعمل صالحًا، ولم يهتدِ — فليس له غفران، وهو تحذير ضمني موجّه لغير التّائبين:"لا تركنوا إلى الأمل الكاذب، فالمغفرة لمن يستحقها"، وعلى وفق مبدأ الكمية (Maxim of Quantity)، فإنّ اختيار "غفّار" بدلاً من "غافر" فقط، مع استخدام أداة التّوكيد "إنّي" و"اللام" رسالة مؤكدة مفادها أنّ الله يُكثر الغفران، بشرط أن تُظهر استحقاقك له.

أمّا مبدأ المناسبة (Relation)، فإنّ سياق الآية يذكّر بني إسرائيل بالذّنوب ثم يقدّم صفة "غفّار"، وهذا التّرتيب يستدعي منهم مبادرةً بالتّوبة، فضلا عن ذلك فإنّ بلاغة الاستلزام تشير إلى أنّ استخدام صيغة "غفّار" يوحي بتكرار الفعل وكثرته، ولكنّ الاستلزام الحواري يضع حدًّا

لهذه الكثرة، فهي ليست مطلقة، بل منضبطة بالشّروط، وإذا أردنا أن نعمل مقارنة ضمن السياق، نجد أنّ الله سبحانه لم يقل: "غافر"، بل: "غفّار"، وفي ذلك تشجيع قوي للمذنبين بالتّوبة، ولكنّه لم يتركها مفتوحة، بل قال: "لمن تاب..."؛ حتّى يمنع الفهم الخاطئ للمغفرة بأنها تُعطى دون عمل.

ممّا سبق نلاحظ أنّ كلمة "غفّار" في هذا السّياق لا تُفيد فقط الرّحمة والمغفرة، بل تُرشد السّامع إلى شرطيّة المغفرة، وتُحمّله مسؤولية السّعي لها، فيكون الخطاب جامعًا بين التّرغيب والتّرهيب.

٢. نيابة الصّفة المشبّهة(فعيل) عن اسم الفاعل

قال تعالى:﴿إنّ ربّك شديد العقاب﴾،فالتّحليل التّداولي لعبارة "شديد العقاب": الاستلزام الضمني (Implicature)، فالعبارة لا تخبر فقط أنّ الله يعاقب، بل أنّ عقابه شديد، وهذا يُستتبع منه تحذير ضمني للمخاطَب: "احذر معصية الله، فإنّ العقوبة ليست فقط محتملة، بل عظيمة ومهلكة. "وقوله تعالى: "إن ربك" رغم أنّه موجّه للنّبي، إلا أنّ السّياق يعمّ المخاطَبين جميعًا، وفيه استلزام: "لا تغترّ برحمة الله، فإنّ رحمته لا تُنافي شدة عقابه لمن يستحق."

١. مبدأ الكمية (Maxim of Quantity): لم يُقَل: "يعاقب"، بل "شديد العقاب"، وهذا يدلّ على مبالغة مقصودة في التّهويل والرّدع، ويزيد من قوّة المعنى إدخال أدوات التّوكيد (إنّ) و(لام الابتداء)، فيقوّي التّأكيد ويوصل رسالة ضمنيّة، مفادها: خُذ هذا الأمر بجدّية، ولا تستهين به، ويظهر دور الصّفة المشبّهة في تقوية المعنى، واختيارها؛ لأنّها أثبت من اسم الفاعل، وقد ذكر السّامرائي:((إنّما يقع اسم الفاعل وسطاً بين الفعل والصّفة المشبّهة، فاسم الفاعل هو أدوم من الفعل واثبت، لكنّه لا يرقى إلى الصّفة، فإنّ (قائم) أدوم واثبت من (قامَ)، لكن ليس مثل الصفة طويل وقصير))(السامرائي ،٢٠٠٧، ٤٥)، وهذه الصّفة على دوامها فإنّها مشروطة، ومحدّدة لمن يستحقها من أهل الشّرك والضّلال، وفيها اختزال كمي يوصل الرّسالة بأدق عبارة وأبلغ تاثير.

٢. مبدأ العلاقة (Maxim of Relation): تُقال هذه العبارة عادةً في سياق ذكر الأمم السّابقة وهلاكها، كما في قوله:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود:١٠٢)، فالعبارة مرتبطة بسياق عدالة الله في التّاريخ، مما يُوحي ضمنًا: "ما دام قد فعل ذلك بالأمم السابقة، فهو سيفعل بكم إن سرتم على نهجهم."

٣. الاستلزام بالمخالفة (Implicature by Opposition): عندما يقول: "شديد العقاب"، فإن هذا لا يعني أنه غير رحيم، لكن: المغفرة لمن يستحقّها، والعقاب لمن يصرّ على العصيان، وهذا يحمل استلزامًا ضمنيًا مزدوجًا: تحذيرا للعصاة، وتعزيّة للمتّقين.

والخلاصة التّداوليّة لما سبق تكون في أنّ عبارة "إنّ ربّك لشديد العقاب" تُستخدم في القرآن كأداة ردع وتهديد ضمني، تُستثمر فيها أدوات التّوكيد والصّفة المشبّهة (شديد) لتوصيل معنى يتجاوز ظاهر العبارة، ليست صفة لله فحسب، بل رسالة تخاطبيّة موجّهة إلى الإنسان لمراجعة النّفس ومراقبة الأعمال، وهي بذلك تحقّق استلزامًا حواريًّا خاصًّا.

٣. نيابة اسم الآلة (مفعال) عن اسم الفاعل

كلمة "مِرْصَاد" في قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾(الفجر:١٤)، وهي صيغة اسم مكان من الفعل الثلاثي رَصَدَ بمعنى راقب وترصّد، على وزن مِفْعَال، وتدلّ على مكان التربّص والتّرقّب (أو اسم آلة في بعض السّياقات)، والدّلالة الظّاهرة: أن الله عزّ وجلّ يتربّص بالمجرمين ويراقبهم.

وقد ذكرنا فيما سبق أنّ نظرية الاستلزام الحواري تقوم على أنّ المتكلم لا يقول كل ما يعنيه بشكل مباشر، بل يفترض السّامع بعض المعاني الضّمنية بالاعتماد على السّياق، ومبدأ التّعاون بين المتكلّم والمخاطَب، والمعنى الظّاهر (الصّريح) أنّ الله عزّ وجلّ في مرصاد، أي: في موقع اترقّب، يراقب أفعال عباده، لايخفى عليه شيء، أمّا المعنى الضّمني (الاستلزام الحواري): بما أن الله في المرصاد، فهذا يستتبع ضمنًا تحذيرًا غير مباشر للمخاطَب، فالسّياق العام في الآيات السّابقة يتحدّث عن تدمير الطّغاة (عاد، ثمود، فرعون)، مما يُفهم منه ضمنًا: "فاحذر أيها الإنسان أن تكون مثلهم؛ لأنّ الله يراقبك كما راقبهم وأنزل بهم العقوبة."، الاستلزام

الحواريّ الخاص (Particular Implicature): ليس المقصود أنّ الله فقط في مكان مراقبة (بالمعنى المكاني)، بل: "الله بالمرصاد" ولن تفلت من العقوبة مهما أخفيت أو ظننت أنّ لا رقيب عليك، فالسّياق الإنذاري يحمل في طيّاته رسالة: "أيها المخاطب، افهم أنّ القدرة الإلهيّة حاضرة في كل حين، فعدل الله واقع لا محالة."، وعلى وفق مبدأ الكمية (Maxim of Quantity): فإنّه لم يَقُل: "إنّ ربّك يراك"، أو "يعلم أعمالك"، بل قال: "لبالمرصاد"، ممّا يدلّ على ترقّب وعقاب وصرامة؛ لذلك فإنّ هذه الزّيادة في القوّة التّعبيريّة تستدعي من السّامع فهمًا أعمق: أنّ هذه المراقبة ليست لمجرّد العلم، بل تمهيدٌ للعقوبة. وعلى وفق مبدأ الكيفية (Maxim of Manner): نلاحظ إنّ اختيار كلمة واحدة جامعة "مرصادًا" بدل تفصيل، فيه إيجاز يوصل رسالة الرهبة، وكذلك فإنّه لا لبس في التعبير، مما يدعم دقة الرسالة التداولية: المراقبة مع الاستعداد للعقوبة.

أمّا من جهة الاستنتاج التداولي، فإنّ استخدام كلمة "مرصادًا" بدلًا من تعبير مباشر عن المراقبة أو العلم الإلهي، يحمّل الخطاب دلالة ضمنية قوية: التّهديد غير المباشر، والتّحذير المبطّن، استدعاء الموقف الأخروي، والإحالة إلى سنّة الله في الانتقام من الطّغاة، والمعنى الظّاهري: "إنّ ربّك قويّ في إنزال العقاب، لا يضعف، ولا يتراجع، ولا يعفو دون استحقاق."

والحق أن هناك اختلافات بين المخاطبين في فهم الاستلزام الحواري، تتوقف على الثقافة والخلفية اللغوية والتواصلية للمخاطبين، ومن ثم يختلف الناس في الفهم، فمنهم من يفهم المعنى الضمني ومنهم من يتوقف عند المعنى الظاهر، ومنهم من يستغلق عليه الفهم، لأن" الفهم عملية ذهنية تقوم على المهارة الاستنتاجية التي تستوجب العلم بعلوم اللسان الموصلة لفهم الخطاب والقراءة الجامعة لمحيطه اللغوي والمقامي، ويزداد الفهم بالمران والعلم وسعة الأفق وسرعة البديهة والحضور الذهني. "ففهم الكلام لا يعتمد فقط على الكفاءة اللغوية بمعنى المعرفة بقواعد اللغة، ولكن لا بد أن " يمتلك المتكلم كفاءة اتصالية، وبتضافرهما فقط يمكن أن يوضح المنطوق اللغوي الفعلي " (احمد ،٢٠٢٣، ١٦٤٧) ، ومن هنا فإنّ المبادئ الاستلزامية تساعد في فهم النّص فهما إلى ما بعد الخطاب.

الخاتمة

توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

١. يتّسم اسم الفاعل بتنوّع دلالاته، فهو لا يقتصر على معنى واحد، بل قد يحمل دلالة على الحدوث أو الثبوت، وقد يرتبط بالزمن أو بالمبالغة أو بغيرها من المعاني.

٢. يرى النحاة أنّ اسم الفاعل يدلّ في الأصل على الحدوث، بخلاف الصفة المشبهة التي وضعت للدلالة على الثبوت. غير أنّ تتبّع الاستعمال القرآني يكشف أنّ اسم الفاعل قد يُستخدم أحيانًا لإفادة معنى الثبات والاستقرار، مما يوسّع دائرته الدلالية.

٣. في إطار ظاهرة التناوب بين الصيغ، قد يخرج اسم الفاعل عن دلالته الأساسية، فيستعمل أحيانًا بمعنى المفعول به، وأحيانًا أخرى على معنى المصدر، وهو ما يشير إلى مرونته في حمل دلالات متنوّعة رغم محافظته على صورته الصرفية.

٤. أمّا في مجال المبالغة، فيمكن أن تؤدّى بوسيلتين: الأولى أن تدلّ صيغة "فاعل" نفسها على معنى المبالغة تبعًا للسياق، والثانية باللجوء إلى صيغ أخرى مشتقة من اسم الفاعل وضعت أصلاً للدلالة على الكثرة أو الشدة.

٥. نظرية الاستلزام الحواري تفسر كيف أن القرآن يوظف هذه الظواهر اللغوية لكشف معانٍ ضمنية، من خلال انتهاك مبدأ الكم أو تعزيز مبدأ العلاقة بين الألفاظ والمعاني غير الثلاثي التي تدل على المبالغة، والتي منها (مُفعّل، ومُفعلل).

٦. يتم انتهاك مبدأ الكم في آيات الوعيد لخلق الرهبة، بينما يتم تعزيزه في آيات الوعد لزيادة الطمأنينة.

٧. يتم تطبيق مبدأ العلاقة بترابط الألفاظ بما يخدم الهدف البلاغي للآيات.

٨. يتم الالتزام بمبدأ الكيفية لبيان العقوبة بوضوحٍ تام، بينما يكون في آيات الوعد أكثر مرونة.

٩. يستخدم الأسلوب المناسب لكل حالة: التوبيخ في الوعيد، والتشويق في الوعد.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن جني. أبو الفتح عثمان(د.ت). الخصائص. د.ط. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المكتبة العلمية.

٢. ابن عاشور. محمد طاهر(١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

٣. ابن كثير . اسماعيل بن عمر(٢٠١٣). تفسير القرآن العظيم.ط١. سوريا.

٤. ابن منظور(١٩٩٨). لسان العرب. ١. دار احياء التراث العربي.

٥. احمد. علاء رمضان(٢٠٢٣). "الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين: دراسة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري لجرايس." مجلة الدراسات العربية (جامعة المنيا – كلية دار العلوم)، رقم العدد ٤٨ ، المجلد ٤ .

٦. الالوسي. شرف الدين محمد بن احمد(١٩٩٤). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الفكر.

٧. باحميد. د.رضية بنت حسين(٢٠٢٤). الاستلزام الحواري آيات من القرآن الكريم أنموذجاً. حزلية كلية اللغة العربية للبنين بجرحا.

٨. البلداوي. د. جنان سالم محمد(٢٠٢٢). "فلسفة اللغة عند بول غرايس محاولة جديدة لقراءة مقاله (المنطق والمحادثة)." مجلة ديالى.

٩. تاديبه. جان آيف(١٩٨٧). النقد الادبي في القرن العشرين. بارس.

١٠. حسان. تمام(١٩٩٤). اللغة العربية: معناها ومبناها. د.ط. الدار البيضاء: دار الثقافة.

١١. الرازي. محمد بن فخر الدين(د.ت). مفاتيح الغيب. بيروت: دار احياء التراث العربي.

١٢. رحيمي. كاوه(٢٠٢١). "الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني، قصة مريم زكريا ومريم العذراء عليهما السلام أنموذجاً." مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها.

١٣. زايد. فهد خليل(٢٠١٩). الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية.ط٢. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

١٤. الزركشي. عبد الرحمن بن احمد(١٩٩٢). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر.

١٥. الزمخشري. محمود بن عمر(٢٠٠٩). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط٣. بيروت: دار المعارف.

١٦. السامرائي. الدكتور فاضل(٢٠٠٧). معاني الأبنية في العربية.ط ٢. دار عمان.

١٧. سطام. أ.م.د.كاطع جار الله(٢٠٢٢). "التحول الصرفي إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم بين التفسير الاعتباطي والاعجاز القرآني." مجلة العميد فصلية محكمة ١٠ .

١٨. السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(١٩٨٨). معترك الاقران في اعجاز القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٩. الطبري. ابو جعفر محمد بن جرير(١٩٩٢). تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. العازمي. د. فاطمة عبد الله ناصر ومحمد . د.رابحة(٢٠٢٢). "فكر التداولي عند السهيلي – دراسة لغوية." مجلة الدراسات العربية.

٢١. عبد الفتاح. د. محمد فيصل محمد(٢٠٢٠). "التناوب بين مشتقات الأسماء، دراسة صرفية دلالية في ضوء القرآن الكريم." مجلة كلية اللغة العربية بالمنفية.

٢٢. عزيز. سمير محمد(٢٠٠٤). اسم الفاعل في القرآن الكريم، دراسة صرفيه نحوية دلالية في ضوء المنهج الوصفي. (رسالة ماجستير). نابلس: جامعة النجاح.

٢٣. عكاشة(٢٠١٣). نظرية البراغماتية اللسانية (التداولية): دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ.ط١. القاهرة: مكتبة الآداب.

٢٤. غرايس. هربرت بول(١٩٧٥). المنطق والمحادثة. نيوريوك: الاكاديمية برس.

٢٥. القرطبي. ابو عبدالله محمد بن احمد. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٩.

٢٦. قميرة. رافي. (٢٠١٩)علم الصرف بين النظرية والتطبيق عند القدماء والمحدثين.ط٢. الجزائر: المعيار.

٢٧. المخزومي. مهدي(١٩٨٦). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي.

٢٨. النجار. اشواق محمد(٢٠٠٦). دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية. العراق: دار دجلة.